



حين يكثر الظلم ويمر كأس يشرب منه معظم من حولك تنتقص كل خلائق معلنة رفضها لهذا الظلم متمنياً زوال الظالم وكل من أعانه، سائلاً الله أن تكون ممن يساهم في أي خطوات حقيقة نحو العدالة، تلك الخطوات التي ينصر بها المظلوم ويقتص بها من الظالم.

فلابد خطوة أولى أن يجد الظالم من يواجهه وينكر عليه ظلمه ويعلنها في وجهه أنه ظالم، هكذا مدوية قوية لقوة الحق. ولم لا، أليس هذا الظلم من المنكر المأمورون بإنكاره في حديث أبو سعيد الخدري (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) : "مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكِرًا فَلِيغِيرْهُ بِيدهِ، إِنَّ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلْسَانِهِ، إِنَّ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضَعَفُ الإِيمَانِ!"

وأكثر المنوطين بهذا الدور هم العلماء وطلبة العلم فمن المفترض أن يكونوا هم قادة الأمة وعليهم أن يتصدروا ويسيروا مع الأمة في شدائدها، كما تصدرروا وساروا معها في رحمة عيشها، لابد أن لا يهناً لهم جفن بنوم حتى يعيروا المظلوم في خطوات استرداد حقه المسلوب من الظالم، والأمثلة عبر التاريخ الإسلامي لأمثال هؤلاء العلماء وطلبة العلم كثيرة.

وبعد خطوة إعلان إنكار الظلم المستفحـل - الذي وصل إلى حد لا يمكن تقويم مرتکبه أو إصلاح آثار ظلمـهـ، تأتي خطوة **هدـمـهـ**، التي تستهلك وقتاً وجهـاً ليس بالقليل، فلابد من عدم ترك الظالم يهـنـأـ بـظـلـمـهـ ولاـبـدـ من الاستمرار في تقييـهـ وـظـلـمـهـ وفضـحـهـ وإـظـهـارـ حـقـيقـتـهـ ومنـ معـهـ دونـ كـلـ أوـ مـلـلـ فـكـلـ هـذـاـ منـ وـسـائـلـ هـدـمـهـ، ولاـبـدـ منـ نـشـرـ الـوعـيـ بـيـنـ الـعـقـلـاءـ وـالـمـنـصـفـينـ وـضمـمـهـ فيـ صـفـوـفـ الـهـجـومـ أوـ عـلـىـ الأـقـلـ الـدـافـعـ، فـيـ تـلـكـ المـعـرـكـةـ معـ الـظـلـمـ وـالـظـالـمـينـ.

وعلينا في هذه الخطوة بعد الالتفات للمرجفين فإنك سترى قوله تعالى: {فَقَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ} فهم يسارعون بكل معاني وأشكال الخنوع وإيثار السلامة إلى الظالمين يسترضونهم ويطلبون منهم الأمان بتقديم الأقوال والأفعال التي تزيدهم رضاً وقبولاً بين أوساط الظالمين، وسنجد من أهم أدوارهم المكلفين بها وضع الهالات القدسية على الظالمين والتبرير لهم والتهديد الدائم بأنه لا يمكن هدم هؤلاء الظالمين وأنه إن حدث وتم هدمهم فسيكون هدمهم السبب الرئيس في هدم المجتمع بأكمله.

ثم تأتي بعد خطوة هدم الظلم خطوة إيجاد المناخ والبيئة المناسبتين للعدالة وهذه خطوة الانطلاق فالمجتمع الذي تعود على الظلم ومعاشرة الظالمين يسكن الظلم عادة بين جميع طبقاته فالقوى في أي مكان يظلم من هم دونه فالمدير العام الظالم في مؤسسة ما يظلم مدير الأفرع ومدير الأفرع يظلمون من تحتهم من موظفين وهكذا، ولنزع منظومة الظلم هذه لابد من إجراءات صارمة حاسمة تطال جميع الطبقات بخطوات فيها من التدرج ما يراعي المصلحة العليا للمجتمع دون تباطؤ حيث أن معالجة البيئة والمجتمع لإرساء دعائم العدالة أهم مصلحة عليا لابد من تحقيقها دون الالتفات لدعوى احتواء الفاسدين والظالمين لاسيما وإن كانوا من المصريين على العبث بالمجتمع والاستمرار في الفساد والظلم.

ثم تأتي أهم الخطوات نحو العدالة، وهي **القصاص ولأهمية** هذه الخطوة في إرساء العدالة ودفع الظلم قال الله تعالى واصفاً الأثر الحيوي للقصاص: {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} فالقصاص حياة ملؤها العدل فالظلم يشف الله ما بصدره والظلم يعقوب وبعقابه يُردع غيره.

لذا إذا نظرنا إلى الخطبة التي خطبها سيدنا أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) لما بويع بالخلافة بعد بيعة السقيفة سنجده قد أدرك تماماً مثل هذه الخطوات التي ذكرتها آنفاً.

فبعد أن حمد الله وأثنى عليه قال: "أما بعد أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أساءت فقوموني، الصدقأمانة، والكذب خيانة، والضعف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم"

هكذا كان الصديق (رضي الله عنه) خير من تأسى بخير من يتأسى به سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) فنسأل الله أن تكون ممن يساهم في خطوات نحو العدالة.

المصادر: